

مكتبة الصفوة - بغداد - شارع فلسطين - قرب الباب الرئيسي للجامعة المستنصرية

معهم في معركة احرز فيها النصر وانتشر تحرك اليمانية ضد مروان لانه مال الي القيسية فثار يمينه فلسطين ضد مروان فجهز ضدهم جيشا استطاع ان يقضي على حركتهم . وبعد ان اقر مروان امر اليمانية في مدن حمص وتدمر وفلسطين خرج على حكم مروان سليمان بن هشام بن عبد الملك ، واقنع البيت الاموي بان يخلعوا طاعة مروان وايدت اليمانية موقفة ،فاضطر مروان الي ان يتوجه لحزب سليمان اذ دارت بينهما حروب طويلة انتصر فيها مروان واجبر سليمان على الهرب الي العراق حيث انضم الي من كان به من الخوارج الذين تحركوا انذاك ضد مروان .

ولم يقتصر الامر على الاحوال السياسية في داخل بلاد الشام ، انما انتشرت هذه التوترات بسبب التنازع السياسي على الخلافة الي العراق والجزيرة الفراتية والى حد كبير من المشرق الاسلامي ، فانشغل مروان طيلة مدة حكمه في تجهيز الجيوش لكبح هذه الحركات ، مما ادى بمرور الزمن الي ان يظهر الوهن العسكري على جيوشه وبالتالي اريك الاوضاع وانفلت زمام الامور فتشجع الطامعون والحاقدون على حكم مروان بصورة خاصة والحكم الاموي عامة^(١) . ولذلك فمن الممكن القول ان العوامل الاخرى السياسية والاجتماعية الخاصة بالنزاع القبلي بين المضربة واليمانية هي في حقيقة امرها عوامل نتجت بشكل رئيسي من هذا التناقض الاداري السياسي المتعلق بالماكنة الادارية للخلافة الاموية .

٢- الامويين والمشاكل السياسية :

لاشك ان الاصول التاريخية لبعض المشاكل السياسية الشائكة التي واجهت الخلافة الاموية في الحقب الاخيره من حكمها ترجع الي بداية الحكم الاموي تقريبا اذ بعد وفاة الخليفة معاوية بن ابي سفيان واعتلاء ابنه يزيد الخلافة ظهر ان علي الخليفة الجديد ان يواجه مصاعب جمه ، اذ عصفت بالدولة احدث سريعة وخطيرة ومهمة وضعت الحكم الاموي امام تحداً كبير . ويقف على رأس هذه التحديات تلك التي تعلقت بخروج الحسين بن علي (ع) نحو العراق واعلانه عن مناوآته للخليفة الاموي الجديد ، وتلك التي مثلتها حركة عبد الله بن الزبير في الجزيرة العربية . فكلتا الحركتان مثلتا جوانب حيوية كان على الامويين ان يقفوا ازاءها بحزم لحلها غير ان بعض التصرفات في حل هاتين المشكلتين قد ادت الي نتائج اخذت تنمو تدريجياً لتتحول الي حركات عديدة متواصلة ما ان يقضي الامويين على واحدة منها حتى تظهر في اعقابها حركة اخرى ، فاستشهاد الحسين بن علي(ع) ولد احقادا للاحذ بثاره ، ومحاصرة حرم رسول الله في المدينة المنورة وفتحها عنوة ثم محاصرة مكة المكرمة وضربها

(١) ينظر : السيوطي . تاريخ الخلفاء ، ص١٦٩-١٧٠ .

بالمجنوق والحاق الخسارة بالكعبة اذ توارت احجار المنجنوق والعرادات على البيت ، ورمي مع الاحجار النار والنفط ومشاقات الكتان وغير ذلك من المحروقات واحترقت البنية^(١) . قد ولد غضب الفقهاء المسلمين واهالي المدينتين المقدستين والتي تبلورت لتصبح حركات مناوئة للحكم الاموي اذ ظل بعض الامويين في بلاد الشام يؤيدون ابن الزبير كما انقسم اهالي البصرة الى مؤيد لعبد الله بن الزبير ومعارض له وغير ذلك من الاحداث .

وللحديث عن كيفية مواجهة الخلفاء الامويين لاثار هذه الاحداث السياسية التي ظهرت ونمت منذ المراحل الاولى لحكم الامويين ، ينبغي علينا ان نحصر فترة اثار هذه العوامل على انهيار الخلافة الاموية . فالحركة العلوية مثلا كانت في المراحل الاولى من الحكم الاموي تشكل خطرا كبيرا لكنها في الحقب الاخيرة لم تكن كذلك والواقع ان العلاقة بين الخلفاء الامويين كسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك وبين العلويين كانت علاقة ايجابية ففي خلافة سليمان كان عبد الله بن الحسين من اقرب الناس مجلسا الى سليمان وان سليمان اكرم وفاده ابي هاشم عبد الله بن محمد بن علي والمسعودي يقول ان الخليفة سليمان هو اول خليفة اموي قطع ما كان يذكر على المثابر من كلمات التيل من الخليفة علي (رض)^(٢) .

اما بالنسبة الى الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز فان العلاقة هذه قد تحسنت كثيرا منذ ايام ولايته على المدينة (٨٧ - ٩٣ هـ / ٧١١ م) . فلما ولي الخلافة كان يقدم لبني هاشم والعلويين الاموال والصلوات . فقد ذكر المؤرخ ابن سعد ان الخليفة وصل اهل البيت الطالبي بالمال فاعطى المرأة مثل الرجل واعطى الصبي مثل ما تعطى المراه وقال اني بقيت لكم اعطينكم جميع حقوقكم^(٣) .

ولم يكتف الخليفة بمنح العلويين هذه الصلوات بل شمل كريمه ابناء عمومته من بني هاشم فبعثوا اليه كتابا يعبرون فيه عن شكرهم لما قام به من صلة ارحامهم^(٤) وقد بقيت هذه العلاقة الجيدة بين الطرفين خلال فترة يزيد بن عبد الملك الذي كان بدوره يكن احتراماً قويا للعلويين . ومع وجود هذه العلاقة الجيدة خلال هذه الفترة فان الامويين واجهوا تحديات من بعض الحركات اهمها حركة زيد بن علي ضد الخليفة هشام بن عبد الملك ، وقد صريح زيد عن اسباب خروجه قائلاً خرجتوا على بني امية الذين قاتلوا جدي الحسين (ع) واغاروا على المدينة

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٥٥ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ ج ٦ ص ٥٤٧ المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٢٩٠ : كذلك ينظر البغدادي : ج ٣ ص ٤٣ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص ٢٨٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٢٨٩ .

ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار^(١) وقد رحب اهل العراق بزيد في بداية الامر وايدوا الحركة واخذ البيعه من اهل البصرة والكوفة وارسل الى اهل السواد واهل الموصل وانتشرت دعوته في المدائن والبصرة وواسط والموصل وخراسان والري وجرجان والجزيرة . تحرك زيد في سنة ١٢٢ هـ لكن اتباعه فارقه ولم يبق معه سوى بضع مئات فاستطاع والي العراق يوسف بن عمر ان يقضي على الحركة وان يقتل زيد^(٢)

اما الحركة الثانية فقد تزعمها عبد الله بن معاوية بن عبد الملك بن جعفر ابن ابي طالب خلال خلافة ابراهيم بن الوليد اذ بدأ عبد الله دعوته سرا في الكوفة والحيرة ولما كان ابراهيم بن الوليد منشغلا في ذلك الوقت بالقتال مع مروان بن محمد اخر الخلفاء الامويين ، فقد استثمر عبد الله بن معاوية الظروف وامتد بدعوته الى المدائن والماهين وهمدان وقومس واصبيهان والري وفارس وانضم اليه عبيد الكوفة . لكن بعد ان انتصر مروان على ابراهيم بن الوليد ارسل جيشا كثيفا لقتال عبد الله بن معاوية الذي تنصل عنه مؤيدوه فاضطر الى ان يهرب مع اخوته الى خراسان حيث استطاع ان يسيطر على فارس وهمدان واصبيهان والري . وقد التحق به الكثير من بني هاشم غير ان الدعوة العباسية كانت انذاك قد حصلت على تأييد واسع في خراسان فوجد ابو مسلم الخراساني في بن معاوية خطرا على الدعوة العباسية لذلك قبض عليه ثم قتله^(٣) .

ان الحركات العلوية السابقة لم تكن خطيرة جدا على الخلافة الاموية بالقدر الذي كانت عليه الحركات في بداية الدولة الاموية او مقارنة بالنور العباسية فيما بعد ومن المحتمل ان السبب في عدم تكرار الحركات السياسية العلوية خلال هذه الحقبة المتأخرة من تاريخ الامويين يرجع الى العلاقة الحسنة بين العلويين والامويين من جهة والى استثمار الدعوة العباسية لشعارات سياسية عامة كالدعوة لال النبيت التي تبدو انها علوية ا.

اما الحركات المناهضة الاخرى التي شكلت خطرا سياسيا على الخلافة الاموية في المرحلة الاولى للحكم الاموي حتى فترة الخليفة عبد الملك بن مروان والوليد فهي حركة الخوارج اذ كان الخوارج في اوج قوتهم خلال تلك المرحلة واحتلوا مناطق واسعة من الخليج العربي والاحواز والجزيرة الفراتية وقاوموا الولاة الامويين مقاومة عنيفة ، لكننا مع ذلك نقرا بعض الاخبار عن ظهور حركة هنا وهناك على الخلفاء الامويين بعد عبد الملك ابن مروان مع انها حركات

(١) الطبري : تاريخ، ج ٧، ص ١٨٠ وما بعدها.

(٢) ابن الطقطقي : الفخري في الاداب السلطانية ص ٩٩ .

(٣) الطبري : تاريخ ج ٧ ص ١٨٤ .

خفيفة سرعان ما يقضى عليها كالحركة التي تزعمها داود بن عقبة العبدي خلال خلافة الوليد ، إذ خرج مع جمع قليل من مؤيديه في البصرة فحارية مروان ابن المهلب بن ابي صفرة واقبح في دحره وقتله^(١) وخدمت حركة الخوارج خلال خلافة سليمان بن عبد الملك باستثناء خروج خمسة من الخوارج بتاحية من نواحي البصرة لكن الوالي الاموي قضى عليهم . وعلى العموم فانه يمكن القول ان الخوارج خلال خلافة الوليد وسليمان التزموا جانب السكينة وربما يرجع السبب الى انهم فقدوا تاثيرهم فقل اتباعهم

وخلال خلافة الخليفة عمر بن عبد العزيز ظهرت حركات قليلة ضعيفة منها حركة شنوذب (بسطام بن مري) وارد الخليفة ان يدخل مع الخوارج لحوار سياسي للتفاهم معهم تجنباً للقتال لكن شوذب وجماعته تصوروا ان سياسة الخليفة السليمة تعبر عن الضعف فاستثمروها لتوسيع حركتهم غير ان الخليفة كتب الى عامله على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن " ان لاتحركهم الا ان يسفكوا دما او يفسدوا في الارض فان فعلوا فخذل بينهم وبين ذلك ، وانظروا رجلا حازما فوجهه اليهم معه جندا فأرسل اليهم عبد الحميد جيشاً فهزمهم"^(٢).

ولعله من الصحيح القول ان الخليفة الذي ولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز وي زيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ) قد اوكل الى والي الكوفة عبد الحميد قتال الخوارج بشده وحزم ، الامر الذي دفع هؤلاء الى ان يعتنوا ويعزموا الامر على مقاتلة الأمويين فشهد عصر هذا الخليفة ظهور عدة حركات خارجية منها حركة شوذب في الكوفة التي وجه اليها يزيد الجيوش من بلاد الشام ومن بينها الجيش الذي قاده مسلمة بن عبد الملك فانهم الخوارج ، ويبدو ان حركة خوارج الكوفة قد شكلت خطراً على يزيد فاهتم بها لمحاولة القضاء عليها ووقعت بين جيش مسلمة وشوذب معركة طاحنه قتل فيها شوذب لكن الخوارج من اتباعه واخرين لم يركنوا الى السلم بعد هذه الهزيمة فخرج عققان الخارجي في دمشق وخرج مسعود العبدي في البحرين وحركة اخيه سعيد في البحرين ايضاً وحركة مصعب الوالي بالقرب من الكوفة^(٣).

ومع ان الامويين نجحوا في السيطرة على هذه الحركات لكنها واقعا ارهقت الامويين واشغلتهم عن متابعة الحركات الاخرى المهمة كالحركة العباسية إذ ظل يزيد بن عمر بن هبيرة قائد مروان بن محمد يتعقب الخوارج في الجزيرة الفراتية إذ ظهر هناك سعيد الشيباني الخارجي وخرج الضحاك بن قيس الشيباني بالقرب من الكوفة ونجح في الاستيلاء على الكوفة وواسط

(١) معروف ، تأليف محمود : الخوارج في العصر الاموي (بيروت ١٩٧٧) ص ١٥٧ .

(٢) الطبري : تاريخ ج ٦ ص ٥٥٥ البلاذري : انساب ص ١٥٧ .

(٣) البلاذري : انساب ص ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ابن الاثير الكامل ج ٥ ، ص ١١٩ .

والقاسية وجبي خراج سواد العراق وبإيعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي واسط وبإيعه اهل الموصل وطلبوا منه التوجه اليها . واستغرقت عملية اخضاع مروان ابن محمد وقائده يزيد بن عمر فترة طويلة حتى سنة ١٢٩ هـ ، وهي الفترة التي كان فيها مروان بن محمد منشغلا في كبح عدة تمردات عائلية في بلاد الشام .

ان تحركات الخوارج هذه قد اشغلت الخلفاء الأمويين المتأخرين عن تعقيب نشاطات الدعوة العباسية إذ ان ارسال الجيوش تتبع الجيوش لمحاربة الخوارج قد ساعد على اضعاف الدولة عسكريا ووقفوا نشاطها الى حد كبير داخليا واثاروا لجيوش الاعداء ان تهدد العالم الاسلامي وان تزحف على اطرافه خارجيا كما شغلوا الدولة في فترات حاسمة من تاريخها اضعف الى ذلك انهم ساعدوا على تأليب الناس ضد الأمويين ومهدوا بافكارهم لاثارة الموالى ولجعل الجماهير اكثر استعدادا لقبول الدعوة العباسية .

٣- الدعوة العباسية

والواقع ان الظروف السياسية السابقة والحركات المعارضة التي واجهها الخلفاء الأمويين المتأخرون سواء تلك التي كانت نتيجة من نتائج ولاية العهد ام تلك التي فرضتها القوى المعارضة للحكم الأموي كانت هي الضربات المتلاحقة الموجهة التي ارهقت هؤلاء الخلفاء واتعبت جيوشهم وفتت وحدة البيت الأموي ومؤيديهم والرجال الذين كانوا يتبعونهم وان تلك الظروف قد هبأت فراغا سياسيا بعد ان تقائل ابناء البيت الأموي فيما بينهم وانقسم مؤيديهم الى اقسام وشعب بين مؤيد ومعارض وبين مناصر ومطالب بالتأثر من قتله هذا الخليفة او ذلك . ولذلك فان نجاح الدعوة العباسية وترعها الحركات المناهضة والتفاف المعارضين للبيت الأموي او الحاقدين عليه جاء كضربة اخيرة حاسمة انتهت حكم هذه الاسرة العربية .

يرجع نشاط الدعوة ونجاحها الى علي بن عبد الله بن عباس الذي نادى بحق العباسيين بالخلافة والذي تزعم الدعوة السرية لتحقيق هذا الهدف ، ويبدو ان الخلفاء الأمويين المتأخرين كانوا مرتابين من نشاطاته وموافقة^(١)، كانت الشخصية المركزية التي انتفع من موقعها العباسيون او لنقل محمد بن علي العباسي هي عبد الله بن محمد بن الحنفية المعروف باسم ابي هاشم الذي مات سواء في السم ام بشكل طبيعي (في الحميمة لكنه قيل ان يموت اختار محمد بن علي للخلافة في الدعوة ضد الأمويين واوصاه بوصيه مهمة شرح فيها له اسرار الدعوة واسماء الدعوة ومحللتهم واسماء الاحياء العربية التي تساند الدعوة واسماء القبائل العربية المؤيدة وقيل ان الصحيفة الصفراء التي اوكلها لمحمد بن علي تحتوي على الوقت

(١) فوزي : فاروق عمر : العباسيون الأوائل ج ١ ص ٣٩-٤٠ .